

منهج النبي ﷺ في أخلاقه

إعداد

د. مصطفى سي يعقوب



من أبحاث المؤتمر الدولي
نبي الرحمة محمد ﷺ

المنعقد في الفترة ٢٣ – ٢٥ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢ – ٤ أكتوبر 2010م
برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله–

والذي نظمته
الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



www.sunnah.org.sa



المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النّساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠-٧١).

أمّا بعد:

فإنّ محمّدًا ﴿ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1].

«إنّه سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشق عنه القبر، وأوّل شافع، وأوّل مشفّع»[2]، «كان أول بدء أمره ﷺ بدعوة أبيه إبراهيم، وبشرى نبي الله عيسى عليه السلام به، ونوراً رأته أمّه خرج منها فأضاءت به قصور الشّام»[3].

---

(١) سورة الفتح، الآية: (٢٩).

(٢) رواه مسلم: باب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ برقم: (٦٠٧٩).

(٣) رواه أحمد من مسند العرباض بن سارية برقم: (١٧١٩٠)، قال الأرنؤوط صحيح لغيره، (٤/ ١٢٧)، والبزار في مسنده المعروف بالبحر الزاخر، من مسند العرباض بن سارية: (١٠/ ١٣٥)، برقم: (٤١٩٩)، وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يُرْوَى عَن رسول الله ﷺ بإسناد متصل عنه بأحسن من هذا الإسناد» إشارة منه ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ [الصف: ٦].



وقد شرّف الله نسبه ﷺ، فهو «**مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِمَنَافِ بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ**»[1].

ولا شكّ أنّ هذا النبي ﷺ كان عظيمًا في أخلاقه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، مثلما كان عظيمًا في أسمائه، فهو «**محمّد، وهو أحمد، وهو الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وهو الحاشر الذي يحشر النّاس على قدمه، وهو العاقب الذي ليس بعده أحد**»[3]، كما كان أسوةً في كلّ خير عرفه الإنسان فردًا ومجتمعًا، قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا**﴾[4].

---

(١) رواه البخاري معلّقًا: كتاب مبعث النبوي، باب مبعث النبي ﷺ، (٧/ ١٨٧)، ولم أقف عليه في تغليق التعليق، وظاهر صنيع ابن حجر- والعلم عند الله- التوقف؛ فقد أغلق ما قبله وما بعده في (٣٨٤٧) و(٣٨٥٦)، انظر تغليق العليق: (٤/ ٨٥)، وقد أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: (١/ ١٤٣)، ونقل الإجماع على نسبه الشّريف إلى عدنان.

(٢) سورة القلم، الآية: (٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التّفسير، باب: باب قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، برقم: (٤٨٩٦)، (٦/ ١٨٨)، ومسلم؛ واللفظ له، باب: باب فِي أَسْمَائِهِ ﷺ برقم (٦٢٥١)، (٧/ ٨٩).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

لئن كانت الأمم قد اختلفت في إعراب كلمة الخلق، والإعراب عنها-بناء على أسسها الديموغرافية والجغرافية تعيينًا فتقديمًا واهتمامًا- فإنّ نبيّنا أعظم مثال عرفه البشرية في كلّ ما صحّ خلقًا:

فلئن اعتبرنا الخلق بتزكية الله للعبد ورضاه ﷻ عن خلقه فنبيّنا ﷺ سيد البشر: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1].

وإن كان بالرحمة والرأفة فنبيّنا ﷺ سيّد البشر: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

وإن كان بالجود والكرم فنبيّنا ﷺ سيّد البشر فيه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**»[3].

إنّه رسول الله ﷺ لا يردّ سائلا أبدًا، عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ قَالَ:

---

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) سورة التوبة؛ الآية: (١٢٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي: (١/ ٥) حديث رقم: (٦)، ومسلم: باب كان النبي ﷺ أجود الناس، برقم: (٦١٤٩)، واللفظ للبخاري.



«جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ؛ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ سَائِلاً، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ»(١).

وإن كان بالاهتمام بالمرأة تعليمًا ووعظًا فنبيّنا ﷺ سيد البشر فيه، عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلاَلٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ وَبِلاَلٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ»(٢).

وإن كان بعلو الهمة وصدق الإخلاص والتجرّد، فنبيّنا ﷺ سيّد البشر فيه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب ذكر النساج: (٣/ ٦٨)، برقم: (٢٠٩٣).

(٢) المرجع السابق: كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء، وتعليمهن، برقم (٩٨).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٦٢-١٦٣).

وإن كان الخلق بالتزام منهج اليسر والتيسير منهجًا وسلوكًا ونظام حياة فنبيّنا ﷺ دائمًا سيّد البشر فيه، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَسِّرُوا، وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا**»[1].

فما خُيّر بين أمرين إلاّ أخذ -بأبي وأمي هو ﷺ- أيسرهما ما لم تكن معصية، مع أنّه أقوى النّاس، وأشجع الرجال، لكن تعليمًا ورفقًا ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا**»[2].

لم يخرج منهجه مع خدمه ونسائه قط عن اليسر والتيسير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقم من صاحبه، إلا لمن**

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب: العلم، باب: باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، (١/ ٢٧)، حديث رقم (٦٩)، ومسلم: كتاب: الجهاد والسير، باب: باب فِي الأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، (٥/ ١٤١)، برقم (٤٦٢٢).

(٢) رواه البخاري؛ كتاب: المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم: (٣٥٦٠)، (٦/ ٦٤٨)، ومسلم؛ باب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ...حديث رقم: (٦١٩٠)، (٧/ ٨٠).



تنتهك محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل...»[1].

وإن كان الخلق بالحياء الذي لا يأتي إلاّ بخير، فنبيّنا ﷺ سيّد البشر في ذلك؛ فقد كان أكثر النّاس حياءً، لم يعهد منه قط فحش، ولا بذاءة، إذا كره شيئًا عرف من وجهه ﷺ.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا**»[2].

وإن كان الخلق بمعرفة قيمة حسن الخلق والحث عليه فنبيّنا ﷺ كان سيّد البشر في ذلك، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائكم**»[3].

فلو رأيت رسول الله ﷺ لألفيته دائم البشر، إذا رضي انطلقت أسارير وجهه، وتبيّن رضاه، كثير التبسّم، أكثر ضحكه تبسّم، سهل الخُلُق، ليّن الجانب،

---

(1) رواه أحمد في المسند، (٦/ ٣١)، من مسند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، برقم: (٢٤٠٨٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عبد الرحمن.

(2) رواه البخاري؛ كتاب المناقب، باب: خاتم النبوة، برقم: (٣٥٦٢)، (٤/ ٢١٦).

(3) رواه أبو داود؛ كتاب: السنّة، باب الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، برقم: (٤٦٨٤) (٤/ ٣٥٤). والترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم (١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني: (٣/ ٤٥٠).

ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش.

يعطي من سأله، أو يرّده بميسور من أطيب الأقوال، يقبل الهديّة، ويثيب عليها، لا يأكل الصدقة، ولا يأكلها أهل بيته، لا يجازي السيئة بالسيئة، لكن يعفو ويصفح، ويعرض عن الجاهلين.

ما غضب لنفسه قط، بل غضبه إذا انتهكت حرمات الله، حينئذ لا يقوم لغضبه عندها شيء، خير النّاس للنّاس، يكرم كريم كلّ قوم، قريبًا إلى النّاس.

حليم جمّ الحياء، صبور على المكاره، لا يزيده كثرة الأذى إلاّ صبرًا، ولا إسراف جاهل إلا حلمًا.

أعدل النّاس، وأوفاهم عهدًا، وأعفهم إزارًا، وأوصلهم رحمًا، وأعظمهم أمانةً، يوصل إلى العدوّ اللدود أمانته وإن كان قد وضع على رأسه مائة ناقة!.

من أقلّ النّاس كلامًا، ومن أحسنهم فعالاً، لا يخالف فعله قوله أبدًا، إذا تكلّم نطق قلبه، وإذا عمل نطقت جوارحه، أحبّ العمل إليه أدومه وإن قلّ، قد ترك نفسه من الرّياء، ومن الإكثار، وممّا لا يعنيه، لا يذمّ أحدًا، ولا يعيّر أحدًا، ولا يطلب عورات النّاس، ولا يتكلّم إلا بخير، وفيما يرجى ثوابه.

متواضع لا يتميّز من جلسائه، إذا أتى الغريب يسأل: أيّكم محمّد؟ يشعر كلّ واحد من جلسائه أنّه يخصّه هو بالاهتمام دون الآخرين.



يداعب أصحابه ويمازحهم، ولا يقول إلاّ حقًا، أحرص النّاس على جبر القلوب، وتأليفها، وتطييب الخواطر، وتوخّي المواساة، واجتناب الإساءة، يتفقّد أصحابه كبارًا وصغارًا، ويسأل عنهم، فلا يحسب أحدهم أنّ غيره أكرم عليه منه، ومع ذلك ينزّل كلّ أحد منهم منزلته اللائقة به.

إذا استوقفه أحد لحاجة لم ينصرف حتّى ينصرف صاحبها، يبادر من لقيه بالسلام والمصافحة، ويُقبل عليه بوجهه جميعًا، ويكون آخر من ينزع يده من يد صاحبه، إذا مرّ بالصبيان والنساء لوّح بيده يقرئهم السلام.

خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلّ نظره التّفكر والتأمّل، لا يثبت نظره في وجه أحد، يحافظ على ود أصحابه؛ فيعمم في الإنكار، يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

إذا سار مع أصحابه تأخر عنهم، وتخلّف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف، ويدعو له.

إنّه مبعوث؛ ليتمم مكارم الأخلاق، فخلقه القرآن، بل حياته كلّها تفسير للقرآن بالبيان القولي والفعلي، والتقريري، فقد زكّاه ربّه، وأدّبه فأحسن تأديبه.

اصطفاه وزكّاه من الضلالة والغواية، لا ينطق عن الهوى، قال ﷻ: ﴿ **مَا**

ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

وزكّى فؤاده فقال ﷻ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[2].

وزكّى بصره فقال ﷻ: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[3].

وزكّى ﷻ عقله، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[4].

وزكّاه أن يكون - سبحانه- قد هجره أو قاطعه، فقال ﷻ: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[5].

لا شكّ أنّه ﷺ قد رسم أروع المُثل التي عرفها الإنسان في كلّ زمان ومكان، إلاّ أنّه ﷺ ضرب أقوم المناهج في الأخلاق لأمّته، بل للإنسان أينما كان، فتميّزت أمّته بين الأمم والشعوب بتلك الأخلاق، فماذا كان منهجه ﷺ في أخلاقه مع نفسه؟ ومع أصحابه في السلم والحرب؟ ومع أعدائه؟ هذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

---

(١) سورة النجم، الآيات: (٢-٤).

(٢) سورة النجم، الآية: (١١).

(٣) سورة النجم الآية: (١٧).

(٤) سورة التكوير، الآية: (٢٢).

(٥) سورة الضحى، الآية: (٣)، انظر: هـذه المعـاني وغيرهـا في رسـالة (هـذا هـو رسـول الله) للباحث: أسامة محمّد الحمصي، من موقع نبي الرحمة على الشبكة العالمية.



شكر وتقدير:

أشكر الله - تعالى- على ما أولى من التوفيق والامتنان، وأصلّي وأسلّم على نبيّه الأمين نبي الرحمة، صلوات الله وسلامه عليه.

ثمّ أشكر المملكة العربية السعودية متمثلة في حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين - يرعاه الله - على رعايتها للإسلام وأبناء الإسلام وقضايا المسلمين في ربوع العالم، وأشكر - كذلك - الجمعية العلمية السعودية للسّنة وعلومها على تنظيمها لهذا المؤتمر العلمي تحت شعار: (نبي الرحمة)، سائلين المولى - سبحانه- التوفيق والسداد والإخلاص، كما نسأله لكم حسن الجزاء على ترشيحكم وعنايتكم، آملين لكم التوفيق والنّجاح الباهر في تحقيق الأهداف السامية المرجوة من خلال هذا المؤتمر وأمثاله.

***

أصول منهج النبيّ ﷺ في أخلاقه[1]

لقد بعث النبيّ ﷺ؛ ليتمم مكارم الأخلاق التي درج عليها الأنبياء والرسل قبله صلوات الله عليهم أجمعين، فعَن أبي هُرَيرة عَن النَّبِيّ ﷺ قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2].

---

(١) المنهج في اللغة: مصدر ميمي، من (نَـهَجَ)، بفتح الهاء وكسرها، ينهَج مَنهَجًا، ومِنهجًا ومِنهاجًا، بمعنى أوضح الطريق، أو سلكها، معنويًا كان ذلك الطريق أو حسيًّا.
وترد كلمة المنهج في الأصل لمعنيين متباينين.
يقول ابن فارس: «النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأوّل النَّهج: الطريق، ونَهج لي الأمْرَ: أوضحه، وهو مستقيم المِنهاج، والمَنهجُ: الطريق أيضًا، والجمع: المناهج.
والآخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهَج، إذا أتى مبهورًا منقطع النَّفَس، وضربت فلانًا حتّى أُنْهِج، أي سقط». انظر غريب الحديث، لابن الأثير: (٢/ ٨٠٩)، مجاز القرآن لأبي عبيدة: (١/ ١٦٨)و معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٥/ ٣٦١)، والقاموس المحيط: (١/ ٣٢٠).
أمّا في الاصطلاح: فالطريق المستقيم والسنن القويمة، التي كان عليها النّبي ﷺ في أخلاقه وأقواله ومعاملاته، وسلكه السّلف الصّالح من بعده.
يقول ابن شهاب: «الهرب الهرب، والنّجاة النّجاة!، والتمسّك بالطريق المستقيم والسنن القويم، الذي سلكه السّلف الصّالح، وفيه المتجر الرابح» ذكره القرطبي في تفسيره: (٩/ ١١٧).

(٢) رواه البزار: (١٥/ ٣٦٤)، برقم: (٨٩٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٠/ ١٩١)،=



وكانت تلك الأخلاق هي الدّين الذي بعثهم الله –تعالى– به من التوحيد، والدعوة والعبادات، والمعاملات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَإِنَّ «الْخُلُقَ» مَا صَارَ عَادَةً لِلنَّفْسِ وَسَجِيَّةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُيَيْنَة وَأَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنهم: عَلَى دِينٍ عَظِيمٍ، وَفِي لَفْظٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. وَكَذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ. وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَدَبُ الْقُرْآنِ هُوَ الْخُلُقُ الْعَظِيمُ»[1].

وإذا كان الخلق إنّما هو الدّين، فلا شكّ أنّ أصول الدين هي أصول الأخلاق، ولهذا فقد كان للنبي المصطفى ﷺ أصول منهجية في أخلاقه، إليها ترجع مناهج أخلاقه مع نفسه، ومع أمته، ومن أهمّ تلك الأصول:

أولاً: تحقيق توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له عزّ وجلّ:

فلقد كان خلق النبي ﷺ القرآن؛ كما في حديث سعد بن هشام بن عامر قال: «**أتيت عائشة، فقلت: ياأم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت:**

=برقم: (٢١٣٠١)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٦٧٠)، برقم: (٤٢٢١)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٢٧).

كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]»[2].

ولا شكّ أنّ أعظم خلق دعا إليه القرآن وكلّ كتاب أنزل على الرسل عليهم السلام هو التّوحيد، وقد شدّد الله في شأنه ما لم يشدّد في غيره، فقال تعالى لنبيّه ﷺ: **﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾**[3].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ولقد أوحي إليك -يا محمّد- ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل **﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾** يقول: لئن أشركت بالله شيئا -يا محمّد- ليحبطن عملك، ولا تنال به ثواباً، ولا تدرك جزاء إلاّ جزاء من أشرك بالله. وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، ومعنى الكلام: لقد أوحي إليك لئن أشركت ليبطلنّ عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك بمعنى وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك»[4].

---

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) رواه أحمد في المسند، برقم: (٢٤٦٤٥)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح (٦/ ٩١).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

(٤) تفسير الطبري: (١١/ ٢٣).



فكان أعظم خلق أمر به القرآن ودعا إليه هو التوحيد، بل يقال في ذلك قولاً جامعًا؛ وهو إذا كان خلق النبي ﷺ القرآن فإنّ القرآن كلّه في بيان التوحيد، وفي تقرير مسائله، والإفصاح عن مآل الملتزمين به، وعاقبة من خالف حكمه بالشرك والكفر.

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله: «بل نقول قولاً كليًّا: إنّ كلّ آية في القرآن هي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإنّ القرآن: إمّا خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمّا خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدّنيا من النّكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد»[1].

فكان التوحيد هو أعظم أخلاقه ﷺ وأحبّه إليه، وأجلّه قدرًا في نظره، التزمه في كلّ حياته، ولم يخرج عنه قيد أنملة، ولا دعا إلى مثله، فكانت حياته ﷺ

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٣٣٢).

كلّها في تقرير هذا الأصل وبيانه: وأنّه أوّل الواجب على المكلّف، وآخر ما يخرج به العبد من الدنيا، وعليه قامت أهمّ وصاياه ﷺ، مع النهي عن كلّ ما يؤدّي إلى مخالفته من الغلو في الصّالحين، بل حتّى في ذاته ﷺ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنّه سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه**»(١).

فكان تحقيق التوحيد والتحذير من الشّرك وسد الذرائع المفضية إليه هو أعظم ما تميّز به دين النبيّ ﷺ الذي هو خلقه.

عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: «**لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه، فقال – وهو كذلك-: «لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذّر ما صنعوا(٢).

ولعظيم شأن التوحيد، وخطورة المخالفة في بابه بالشرك والبدع الكفرية فقد اشتدّت عناية النبيّ ﷺ به؛ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا** ﴾ برقم (٣٤٤٥)، (٦/ ٥٥١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة: (١/ ٥٣٢)، برقم: (٤٣٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود: (١/ ٣٧٧)، برقم: (٥٣١).



قال في مرضه الذي مات فيه: «**أدخلوا عليّ أصحابي**» فدخلوا عليه وهو متقنّع ببردة معافري، فكشف القناع، فقال: «**لعن الله اليهود والنّصارى...**»الحديث[1].

ثانيًا: الدعوة إلى الله تعالى:

إنّ من أعظم أخلاق النبي ﷺ بعد التّوحيد دعوة العباد إلى النّور الذي بعث به، وقد كانت دعوته ﷺ رأفة ورحمة، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

لم يكن يدعو النّاس إلاّ على علم وبصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يجادل إلا بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[3].

ولا ريب أنّ الدّعوة إلى الله تعالى أعظم الأخلاق وأجلها، وهي خلق

---

(١) رواه أحمد: (٥/ ٢٠٤)، وحسنه الألباني في تحذير الساجد (٢١).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

(٣) سورة يوسف الآية: (١٠٨).

الأنبياء والرسل وأدبهم، وميراثهم للعلماء: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَالدَّعْوَةُ وَالْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِغَايَةِ الْحُبِّ للهِ وَغَايَةِ الذُّلِّ لَهُ، فَمَنْ ذَلَّ لَهُ مِنْ غَيْرِ حُبٍّ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا، بَلْ يَكُونُ هُوَ الْمَحْبُوبَ الْمُطْلَقَ؛ فَلَا يُحِبُّ شَيْئًا إِلَّا لَهُ، وَمَنْ أَشْرَكَ غَيْرَهُ فِي هَذَا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَقِيقَةَ الْحُبِّ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِشْرَاكُهُ يُوجِبُ نَقْصَ الْحَقِيقَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾[1] الْآيَةَ، وَالْحُبُّ يُوجِبُ الذُّلَّ وَالطَّاعَةَ»[2].

لم تكن دعوته ﷺ قط لقصد إقامة الحجة على الهالكين، ثمّ يفعل الله بهم ما يشاء، بل كان يحرص على هداية النّاس، وإن لزم من ذلك أن يعرض نفسه للهلاك،قال تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[3].

يقول الإمام الطبري: «فلعلك -يا محمد- قاتلٌ نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك: ﴿ **لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا** ﴾[4]

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: (١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٦-٧).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٦).

(٤) سورة الإسراء الآية: (٩٠).



تمرداً منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه من عند الله حزناً وتلهفا ووجدا، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك»[1].

ثالثًا: بناء النموذج المثالي للدولة المدنية على أساس مبدأ العدل في الحقوق والواجبات:

كان من أصول أخلاقه ﷺ - بعد تحقيق التوحيد والدعوة - إقامة النموذج المثالي للدولة المدنية على أساس المساواة، وهذا الخلق العظيم هو المسرح الذي ظهرت فيه بقية صفاته الخُلقية كلّها، من الرحمة، والشجاعة، والعدل، والأمانة، والصدق، والجود، فكان ﷺ يرسم بصفاته وأخلاقه السلوك القويم لنوع المجتمع الذي يرنوا إلى بنائه، مجتمع يكون التفاضل فيه بالتقوى لا غيرها، قال تعالى: **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾**[2].

عن أبي نضرة قال: حدثني من سمع: خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/ ٥٩٧).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

التشريق، فقال: «**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»(١).

روى البخاري بسنده إلى المَعْرُورِ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ: لِيَ النَّبِيُّ ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(٢).

ونهى عن كلّ ما يحول دون ترابط أفراد ذلك المجتمع، فأقام دعائم هذا الترابط على منع كلّ ما يهدد تماسكه من التباغض، والتحاسد، والتدابر.

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النبيّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند: (٥/ ٤١١) برقم: (٢٣٥٣٦)، قال الأرنؤوط حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، برقم: (٣٠)، (١/ ١٠٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، برقم: (٦٠٦٥)،=



جعل تلك المدنية على أساس الأخوّة، كما قال – تعالى –: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

ورتب الحقوق والواجبات على أساس تلك الأخوة؛ فالمسلم لا يظلم أخاه المسلم، ولا يسلمه، ولا يبيع على بيعه، ولا يسوم على سومه، ولا يخطب على خطبته، بل يكون في حاجته، ويحب له مثل ما يحبه لنفسه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

فالمسلم أخو المسلم فلا يبع على بيعه؛ قال ﷺ: «**لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، ولا يسام على سوم أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه**»[3].

=ومسلم: باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، برقم: (٦٦٩٠)، (٨/٨).

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لاَ يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، برقم: (٢٤٤٢)، (٥/ ١١١). ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه، برقم: (٢١٣٩)، (٤/ ٤٠٦)، ومسلم: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، برقم: (٣٥٠٨)، (٤/ ١٣٦).

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتّى يحب لأخيه ما يحبّه لنفسه**»[1].

فليس هنالك مبدأٌ أبلغ من الأخوة الإيمانية في ربط القلوب، وتوحيد الهدف؛ إذ هي الأفق السامي الذي تُحلِّق إليه العناصر الزكية من البشر جميعاً على مختلف أجناسهم، ولغاتهم، وألوانهم، وهي -في تحليقها نحو هذا الأفق السامي- تنظر إلى الروابط الجاهلية الحقيرة نظرة استخفاف واحتقار، وقد كانت من قبل تعتز بها، وتعدُّها أشياء مقدسة غير قابلة للنقد والتبديل[2].

ولم يكن خير هذا المجتمع فقط في أبنائه، بل شمل الأبعدين، حتّى من الأعداء فضلاً عن غيرهم، وسواء في السلم أو في الحرب.

فكان توجيهه يجمع غاية الرفق بالخلق حتّى وهو في ساحة القتال ومعركة الملحمة وبين يدي السنان، يقول لأمرائه: «**اغزوا بسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، وتغلّوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه.. برقم (١٣)، (١/ ١٠)، ومسلم الإيمان باب دليل أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه...(١٧٩)، (١/ ٤٩).

(٢) انظر: الأخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: (١/ ١٩).



بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناءً»[1].

يفي بالهدنة والعهود التي يقطعها مع أعدائه وإن عرض ذلك حياة بعض محبيه للخطر في الظّاهر، لكنه كان يكل أمرهم إلى الله، ويعلم أنّ الله ناصر الصادقين صلوات الله وسلامه عليه.

رابعًا: نشر العلم والحث عليه:

لقد كان المجتمع الذي بعث فيه النبي ﷺ مجتمعًا أميًا لا يقرأ ولا يكتب، أي كان ذلك العلم فيهم قليلاً جدًا، فكان من أعظم الأخلاق التي التزمها ﷺ نشر العلم والحث عليه في ربوع ذلك المجتمع، وذلك لما للعلم من تعميق مكارم الأخلاق التي بعث ﷺ ليتممها.

ومن حثه ﷺ على العلم ما يسوقه من أمثلة، كتمثيله العالم بالغيث النّافع العميم يصيب الأرض الصالحة، فينتفع به العباد والبلاد، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقيّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت**

---

(١) رواه أحمد في المسند من رواية صفوان بن عسال المرادي برقم: (١٨١٢٢)، قال الأرنؤوط صحيح لغيره: (٤/ ٢٤٠).

منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها النّاس، فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنّ العالم ليستغفر له من في السّماوات والأرض والحيتان في جوف الماء، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، ورّثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافرٍ»[2].

ولا شكّ أنّه يدخل في ذلك – وفي هذا العصر – جميع العلوم النّافعة التي تقوم عليها مصالح العباد: من صناعات، وحرف، والعلوم الإنسانية الأخرى،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم، (١/ ٦٥) حديث: (٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب العلم، باب: الحثّ على طلب العلم، حديث رقم: (٣٦٤١). والترمذي: كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم: (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٢/ ٦٩٤) برقم: (٦٩-٣).



كالطب، وعلم الاجتماع ونحوها.

ولهذا قرر العلماء استنادًا إلى اهتمامه ﷺ بالعلم وحثّه عليه أنّ تعلم العلوم الإنسانية كلّها من فروض الكفاية التي لا بدّ من قائم به في المجتمع المسلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال غير واحد من الفقهاء من أصحاب الشّافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: كأبي حامد الغزالي، وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهم: إنّ هذه الصّناعات فرض على الكفاية؛ فإنّه لا تتمّ مصلحة النّاس إلاّ بها، كما أنّ الجهاد فرض على الكفاية، إلاّ أن يتعيّن فيكون فرضًا على الأعيان..»[1].

فقد كان الحث على طلب العلم، وتعليم العلم، وبيان فضله، وفضل أهله ومنزلتهم في الدنيا والآخرة من أهم مناهج النبيّ ﷺ في أخلاقه، وهذا الأمر كغيره مقرر لا يحتاج إلى إطالة.

***

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام بن تيمية: (٢٨/ ٨٠).

منهجه ﷺ في نشر مكارم الأخلاق في أمّته

لقد كانت بعثة نبيّنا ﷺ رحمةً للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فقد جعل ﷺ همه هماً واحداً هو رضوان الله جل شأنه، فتفرع عن هذا الهم حرصه الشديد على أمته رحمة ورأفة ورجاءً في ربّه، فكان غايته الكبرى هي نجاة أمته، نجاتها في الدنيا من دار الغرور وفي الآخرة من العذاب الحرور، فهو لم يكن يخشى عليها الفقر، بل كان خوفه عليها من الدنيا وانبساطها وإغرائها الشديد[2]، فنشر بالرحمة والرأفة جميع مكارم الأخلاق في أمّته، وسلك في ذلك أسدّ المسالك وأنفعها وأكثرها موائمة لأحوال أمّته، فمن مسالكه في ذلك:

١ – القدوة الحسنة في جميع مكارم الأخلاق:

لقد كان منهج النبي ﷺ في نشر الأخلاق في أمتّه تقوم على تمثيله لأعلى قدوة حسنة في المجتمع، إذا أمر بشيء كان أسرع النّاس إلى فعله، أو نهى عن أمر فهو أبعد النّاس عنه، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

(١) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

(٢) انظر: كتاب نبي الرحمة: (١٧).



يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[1].

يقول الإمام مقاتل: ﴿ **لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ** ﴾ أن كسرت رباعيته، وجرح فوق حاجبه، وقتل عمه حمزه..﴿ **لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ** ﴾ يعني لمن كان يخشى الله ﷻ ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال «وذكر الله كثيرا»[2].

وقد كان النبي ﷺ يكتفي أحيانًا بالإشارة إلى هذا الأصل؛ لتقرير الحق، وإبطال الباطل، من ذلك أنّه اكتفى ﷺ بقوله: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ!!**» للذي قال له: اعدل يا محمّد.

عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللهُ**

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٢) تفسير مقاتل: (٣/ ٢٤).

مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[1].

وعلى هذا درج الصحابة ﷺ - أعني بالإشارة إلى أصل الأسوة لرد الباطل أو بيان الحكم المخالف له- فعن ابن عمر ﷺ، أنه سئل عن رجل معتَمَر طاف بالبيت: أيقع على امرأته قبل أن يطوف بالصفا والمروة فقال: «قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين وسعى بين الصفا والمروة ثم قرأ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[2]»[3]، والأمثلة والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى[4].

وكان ﷺ يعمّق هذا الأصل الأصيل في أصحابه، فيأمرهم أن يقتدوا به في جميع أعمال الدّين والدنيا، فقال في الصلاة: «**صلوا كما رأيتموني أصلّي**»[5]،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح باب: (قول الرجل لأخيه انظر أيّ زوجتي شئت حتّى أنزل لك عنها)، حديث رقم: (٥٠٧٣)، (٧/ ٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب: (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه....) حديث رقم: (٣٤٧٠)، (٤/ ١٢٨).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٣) الدر المنثور: (١١/ ٧٥٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري: (٢٠/ ٢٣٥)، والقرطبي: (١٤/ ١٥٥)، وتفسير ابن كثير: (٢/ ٢٤٢)، الدر المنثور: (٤/ ٥٦٧)، و(٧/ ٥٧٣).

(٥) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، برقم: (٦٣٢)،=



وقال في الحج: «**خذوا عنّي مناسككم**»[1].

وأخبر الذين تقالّوا عبادته أنّه ليس وراء الاقتداء به ﷺ، والوقوف عند هديه إلا الهلاك المحقق، عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: «**جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَأُخْبِرُوا بها، فكَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا، وَاللهَّ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهَِّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[2].

وكان رسول الله ﷺ أسوة حسنة لأمته في مكارم الأخلاق كلّها، فهو سيّد الصابرين، وكان ﷺ يقول: «**ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي**»[3].

=(٢/ ١٣٢).

(١) رواه مسلم؛ كتاب الحج، باب استحباب رمي الجمرة يوم النحر راكبًا برقم: (١٢٩٧)، (٢/ ٣٩٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النّكاح، حديث رقم: (٥٠٦٣)، ومسلم، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (٣٤٦٩)، (٤/ ١٢٨).

(٣) رواه مالك في الموطأ: باب جامع الحسبة في المصيبة، برقم: (٥٥٩)، (١/ ٢٣٦)، وقال=

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جَمِيل العِشْرَة دائم البِشْرِ، يُداعِبُ أهلَه، ويَتَلَطَّفُ بهم، ويُوسِّعُهُم نَفَقَته، ويُضاحِك نساءَه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يَتَوَدَّدُ إليها بذلك. قالت: «**سَابَقَنِي رسولُ الله ﷺ فَسَبَقْتُهُ، وذلك قبل أن أحملَ اللحم، ثم سابقته بعد ما حملتُ اللحمَ، فسبقني، فقال: «هذِهِ بتلْك»**، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها[1].

وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يَسْمُر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يُؤانسهم بذلك ﷺ[2].

=الألباني: (مرسل صحيح) بعد أن أورد مجموعة من الشواهد على حديث بمعناه (وبالجملة فالحديث بهذه الشواهد صحيح والله أعلم) انظر: صحيح جامع الصغير برقم: (٥٤٥٩)، والسلسلة الصحيحة: (٣/ ١٨٠).

(١) رواه أبو داود: باب في السبق على الرّجل: (٢/ ٣٣٠)، برقم: (٢٥٨٠)، وأحمد من مسند عائشة أم المؤمنين: (٦/ ٢٦٤)، برقم: (٢٦٣٢٠)، قال الأرنؤوط: رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي حفص المعيطي، ورواه النسائي في السنن الكبرى: (٨/ ١٧٨)، برقم: (٨٨٩٥) و(٨٨٩٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/ ٢٤٢).



٢ – أمره ﷺ بجوامع مكارم الأخلاق التي تستوجب جميع الصفات الحميدة، والأخلاق الطيبة، ونهيه عن سفسافها:

تحدثنا عن كون النبي ﷺ قدوةً لأمّته -بل للإنسان في كلّ زمان ومكان- تحتذى جميع أفعاله وأقواله وتقاريره، كان منهجه الآخر في أنّه لا يدع خيرًا في الأخلاق من أمر الدّين والدّنيا إلاّ أمر به، ولا شرًّا يفسد الأخلاق دينًا أو دنيًا إلاّ زجر عنه.

أمره بالتقوى دائم؛ لأنّه جامع لكلّ خير مناف لكلّ شرّ، يراعي ضعف الإنسان فيرشده إلى ما يجب عليه، وإذا حصل له خلل في المسير وجهه مع الحرص على أصل التقوى، يوجه مع دعوة إلى حسن الخلق مع النّاس، فتقوى الله لا تعفي من حسن الخلق مع النّاس، بل حسن خلق المؤمن من تقواه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[1].

يأمر بالصدق، ويبيّن محاسنه، وينهى عن الكذب، ويبيّن عاقبته الوخيمة،

(١) الترمذي: باب ما جاء في معاشرة النّاس، وقال حديث حسن صحيح، برقم: (١٩٨٧)، وحسنه الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٨) برقم: (٢٦٥٥) و(٣١٦٠)، وفي المشكاة برقم: (٥٠٨٣)، والروض النّضير برقم: (٨٥٥).

وما فيه من فساد إنسانية الإنسان، ودين المؤمن وإيمانه يقول:

«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(١).

ينهى عن الغشّ بأبلغ النّهي وأشّد النّكير؛ لأنّه مفسد للمجتمع، ومحلل لكيانه وتماسكه، عن أبي هريرة: «**أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة من طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: يا صاحب الطعام، ما هذا؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال: من غش فليس منا**»(٢).

كان يتعهّد شرائح المجتمع بما يناسب كلّ أحد منهم، فيحرص على الشباب بالإرشاد والتوجيه؛ لقوّة صائل الشهوة عليهم.

عن عَبْدُ اللهِ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لاَ نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ

---

(١) رواه مسلم: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٦٨٠٥)، (٨/ ٢٩).

(٢) الترمذي: باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، وقال حديث حسن صحيح، برقم: (١٣١٥)، وصححه الألباني: (٣/ ٦٠٦).



اللهَّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء»[1].

وعن أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَال لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللهَّ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»[2].

وعن أَبِي حَكَمٍ الْغِفَارِىَّ يَقُولُ: حَدَّثَتْنِى جَدَّتِى عَنْ عَمِّ أَبِى رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِىِّ، قَالَ: «كُنْتُ غُلاَمًا أَرْمِى نَخْلَ الأَنْصَارِ، فَأُتِىَ بِي النَّبِىُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ، لِمَ تَرْمِى النَّخْلَ»، قَالَ: آكُلُ، قَالَ: «فَلاَ تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِى أَسْفَلِهَا»، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، فَقَالَ «اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ»»[3].

---

(١) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، برقم: (٥٠٦٦)، (٩/ ١٢٩)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، برقم: (٣٤٦٤)، (٤/ ١٢٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، برقم (٥٣٧٦).

(٣) أبو داود: باب من قال إنّه يأكل ممّا يسقط، برقم (٢٦٢٤)، (٢/ ٣٤٤)، وابن ماجه: باب من مرّ على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه برقم: (٢٢٩٩)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣١)، برقم: (٢٠٣٥٨)، قال الأرنؤوط: حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف لجهالة ابن أبي الحكم الغفاري وجدته، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود=

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»**[1].

وقد كان النّبي ﷺ ينبه الأولاد على ما يتضمن أمره ﷺ من الحكم؛ رجاء تأثير ذلك في سلوكهم وأخلاقهم.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: **«أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كِخٍ كِخٍ -لِيَطْرَحَهَا- ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»**[2].

=برقم (٤٠٣)، وضعيف سنن الترمذي: (٢٤٠) و(١٣١٢).

(١) الترمذي: باب رقم (٥٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح برقم: (٢٥١٦)، وصححه الألباني: (٤/ ٦٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة النبيّ ﷺ، برقم: (١٤٩١)، (٣/ ٤٠٢). ومسلم: باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، برقم: (٢٥٢٢)، (٣/ ١١٧).



ثمّ يختم ذلك كلّه ﷺ بقوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

ولا شكّ أنّ هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام يقوم على أساس مراعاة قدرة العبد في الالتزام بهديه ﷺ؛ فإنّه لا بدّ أن يحصل له قصور، بخلاف ترك المنهي فإنّه مقدور للعبد بإذن الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ - الْمُتَّقِينَ أَوْلِيَاءَ اللهِ - قَدْ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا حَصَلَ لِلصَّحَابَةِ، فَيَتَّقِي اللهَ مَا اسْتَطَاعَ وَيُطِيعُهُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ،فَلَا بُدَّ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ خَطَأٌ إمَّا فِي عُلُومِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَإِمَّا فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَيُثَابُونَ عَلَى طَاعَتِهِمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَى- قَالَ: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ**﴾(٢) - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ** ﴾(٣) قَالَ اللهُ تَعَالَى:

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، برقم: (٧٢٨٨)، (١٣/ ٢٩٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

قَدْ فَعَلْت[1]. فَمَنْ جَعَلَ طَرِيقَ أَحَدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ أَوْ طَرِيقَ أَحَدٍ مِنْ الْعُبَّادِ وَالنُّسَّاكِ أَفْضَلَ مِنْ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ مُخْطِئٌ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ جَعَلَ كُلَّ مُجْتَهِدٍ فِي طَاعَةٍ أَخْطَأَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَذْمُومًا مَعِيبًا مَمْقُوتًا فَهُوَ مُخْطِئٌ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ. ثُمَّ النَّاسُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ وَالْمُوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ هُمْ –أَيْضًا- مُجْتَهِدُونَ يُصِيبُونَ تَارَةً، وَيُخْطِئُونَ تَارَةً، وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ إذَا عَلِمَ مِنْ الرَّجُلِ مَا يُحِبُّهُ أَحَبَّ الرَّجُلَ مُطْلَقًا، وَأَعْرَضَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْهُ مَا يُبْغِضُهُ أَبْغَضَهُ مُطْلَقًا، وَأَعْرَضَ عَنْ حَسَنَاتِهِ، مُحَاطٌ وَحَالُ مَنْ يَقُولُ بالتحفظ؟ وَهَذَا مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُرْجِئَةِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، وَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِقُّ وَعْدَ اللهِ، وَفَضْلُهُ الثَّوَابُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَيَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، وَإِنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَا يُثَابُ عَلَيْهِ، وَمَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَمَا يُذَمُّ عَلَيْهِ، وَمَا يُحَبُّ مِنْهُ، وَمَا يُبْغَضُ مِنْهُ، فَهَذَا هَذَا»[2].

فإذا تقرّر هذا فإنّه قد كان للنبيّ ﷺ منهج في تعليم أمّته ما يجب له ﷺ من عظيم حق عليهم، وهذا هو عنوان حديثنا في المبحث التالي، بإذن الله تعالى.

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب ﴿**وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ**﴾، برقم: (٣٤٥)، (١/ ٨١).

(٢) مجموع الفتاوى: (١١/ ١٥-١٦).



منهجه ﷺ في تقرير حقه على الأمّة

إنّ حقّ نبيّنا ﷺ على أمّته هو أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى، فهو نعمة الله المهداة، للعالمين، وسيّد الثقلين، ببعثه صارت أمّته خير الأمة أخرجت للنّاس، كما قال – تعالى -: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١).

ولا شكّ أنّ ذلك كان يستلزم أن تتخلق وتتأدّب أمته معه على ضوء تلك الحقوق بما يوافق المشروع، وأن يبتعدوا عن كلّ ما يخالف ذلك، ومع ذلك فقد كان للنبيّ ﷺ منهجان في بيان تلك الحقوق وتقريرها:

المنهج الأوّل: تقريره ﷺ لحقه الذي هو من حقوق الله المحضة له على الأمّة، أو يغلب فيه جانب حقّ الله تعالى.

فممّا ينبغي أن يتقرر هنا هو أنّ النبيّ ﷺ كان يعلّم أمته الحق الواجب له على كلّ حال، ولم يكن يقصّر قط في هذا البيان.

لكن حين يكون الحق في الأصل لله –تعالى– ممّا أوجبه سبحانه لنبيّه، أو

(١) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

كان من حقوقه ﷺ مع غلبة جانب حق الله تعالى فيه، كوجوب طاعته ومحبته ونحوها فإنّه ﷺ كان مع بيانه وتقريره لهذا الحق لا يتنازل عن شيء منه.

ووجه ذلك في منهج أخلاقه ﷺ أنّه رسم لأمّته أنّ الحقوق التي تكون أصلها لله تعالى، أو يغلب عليها حقه تعالى لا ينبغي التنازل فيها، لا لقصد التأليف ولا لغيره، فلا ينبغي للوالدين أن يسمحا لولدهما أن يعقهما، وهكذا؛ لأنّ حقّ طاعتهما من حقوق الله تعالى في الأصل.

أمّا الأدلة على تلك الحقوق للنبيّ ﷺ فكثيرة، منها على سبيل الإشارة لا الحصر:

١ – وجوب طاعته ومحبته ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[١].

وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»[٢].

وقال ﷺ: «**افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النّصارى**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا صلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (٢/ ١٧٧) حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور بلفظ: (ما ليس منه): حديث رقم: (٤٥١٣).



إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلاّ واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال:«من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[1].

ومنه قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من والده، وولده، والنّاس أجمعين**»[2].

٢ – نهيه سبحانه وتعالى عن التقديم بين يديه ﷺ، ورفع الصّوت فوق صوته ﷺ قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ** ﴾[3].

٣ – أمره سبحانه تعالى بِالاستجابة له تعالى ولِلنَّبِيِّ استجابة الطَّاعَةَ

---

(١) رواه أبو داود: كتاب السنّة؛ باب: شرح السنّة برقم (٤٥٩٦و٤٥٩٧). والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمّة، (٥/ ٢٥-٢٦) رقم: (٢٦٤٠و٢٦٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٣/ ٤٨٠) برقم: (١٤٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٥)، (١/ ١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل.. برقم: (١٧٧)، (١/ ٤٩).

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: (١-٢).

وَالِامتثال، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

وفي هذا التنبيهُ عَلَى أَنَّ التَّقْصِيرَ فِي الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ ذَنْبٌ مُجَاوِرٌ لِلْكُفْرِ يُوشِكُ أَنْ يَجُرَّ إِلَيْهِ، فَيَجِبُ الاحْتِرَاسُ مِنْهُ بِتَرْكِ الْأَلْفَاظِ الْمُوهِمَةِ لِلْمُسَاوَاةِ، بَلْهَ الْأَلْفَاظِ الْمُنَافِيَةِ لِلْآدَابِ.

فعَدَمُ الْإِصْغَاءِ لِمَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَخِطَابُهُ خِطَابُ الْأَكْفَاءِ وَالنُّظَرَاءِ مُجَاوِر لِلْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ يَتَكَلَّمُ عَنِ الله ﷻ؛ لِسَعَادَةِ مَنْ يَسْمَعُ وَيَعْقِلُ، وَيَأْخُذُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ بِالْأَدَبِ، وَيَسْأَلُ عَمَّا لَا يَفْهَمُهُ بِالْأَدَبِ، وَمَنْ فَاتَتْهُ هَذِهِ السَّعَادَةُ فَهُوَ الشَّقِيُّ الَّذِي لَا يُعْدَلُ بِشَقَائِهِ شَقَاءٌ[2].

كان منهجه ﷺ في ذلك هو الصرامة؛ إمّا لأنّها من حقوق الله المحضة، أو لكون الغالب فيه هو حق الله تعالى، وكان يقابل ذلك بمنهج آخر حين يكون حقه ﷺ محضًا أو غالبًا.

المنهج الثاني: وهو في تقريره ﷺ لحقوقه التي ليست من حقوق الله المحضة على الأمة، فقد كان منهجه ﷺ في تلك الحقوق هو التنازل، فيصبر على

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢٤).

(٢) انظر: تفسير المنار: (١/ ٣٣٩).



جفاء الأعراب، وجهل الجاهلين، وسفه السفهاء.

ووجه ذلك واضح بلا شكّ في منهجه ﷺ في أخلاقه، فهو الأسوة؛ يعلّم المصلحين من أمته ألاّ يكون تعاملهم مع النّاس بالنظر إلى ما فضلهم الله به من منزلة ومكانة، بل عليهم التأسي به ﷺ في التنازل عن بعض الحقوق الخاصة لمصلحة الدعوة، وتأليف المدعوين.

ومن الأدلة على ذلك:

١ – ما كان يحصل له من التأذي بطول استئناس بعض الصحابة بالحديث عنده ببعض الأكل؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[1].

فالمراد بتأذي النبي ﷺ هو ما حصل من بعض الصحابة من إطالة الحديث، لا أنّهم قصدوا ذلك، فإنّ قصد أذيته ﷺ كفر.

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن المؤذي له هنا إطالتهم الجلوس في المنزل، واستئناسهم للحديث، لا أنهم هم آذوا النبي ﷺ، والفعل إذا آذى النبي من غير أن يعلم صاحبه أنه يؤذيه ولم يقصد صاحبه أذاه فإنه ينهى عنه، ويكون معصية، كرفع الصوت فوق صوته، فأما إذا قصد أذاه، وكان مما يؤذيه، وصاحبه يعلم أنه يؤذيه، وأقدم عليه مع استحضاره هذا العلم فهذا الذي يوجب الكفر، وحبوط العمل، والله سبحانه أعلم»[1].

٢ – جفاء بعض الأعراب عليه، وعدم مراعاة ما يستحق من حق أثناء المخاطبة والمناداة، قال تعالى: ﴿ **لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2].

فلا شكّ أنّ قوله تعالى: ﴿ **لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ** ﴾ يشمل أوجهًا عدة في النّهي، كما قال السّعدي: «لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعائكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوباً، حتى إنه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولاً

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول: (٣/ ٧٥).

(٢) سورة النور، الآية: (٦٣).



يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول؛ لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1]، وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: (يا محمد) عند ندائكم، أو: (يا محمد بن عبد الله)، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه ﷺ عن غيره أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله»[2].

والمقصود من هذه الأوجه هو مناداة النبي ﷺ باسمه أو كنيته، فإنّ أجلاف الأعراب لم يزالوا ينادونه به، وهو يتحملهم، ويتألفهم[3].

٣ - جفاء بعض الأعراب عليه في المعاملة بما لا يليق بمقامه ﷺ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «**كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ**

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢٤).رر

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٥٧٦).

(٣) وأمّا باب الخبر فهو أوسع من باب الطلب والنداء، ولهذا يجوز أن تقول: أنا تابع لمحمد ﷺ، أو اللهم! صل على محمد، وما أشبه ذلك. انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٤).

الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[1].

ومن ذلك ما في الصحيحين عن عَائِشَةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»**[2].

هكذا كان النبيّ ﷺ يقابل الجهل والطيش والجفاء بالحلم والتأليف، إلاّ أن يكون في حق من حقوق الله تعالى، فينتقم لله تعالى.

فإذا تقرر هذا فإنّه قد بقي في هذا الباب مسألة، وهي موقفه ﷺ من أذية المنافقين، ونفاقهم، وإفسادهم في المجتمع المسلم، فإنّه لم يكن يتحمّل هؤلاء للسبب نفسه الذي من أجله تحمّل الأعراب ومن في حكمهم، بل كان له ﷺ حكمة أخرى في صرف النظر عن هؤلاء، مدارها حتّى لا يتحدّث النّاس أنّ محمّدًا يقتل أصحابه.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: **«كُنَّا فِي غَزَاةٍ- قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ،**

---

(١) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم...برقم (٣١٤٩)، (٦/ ٢٨٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله وعانقته، برقم: (٥٩٩٨)، (١٠/ ٤٨٤)، ومسلم: باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ برقم (٦١٧٠).



وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ.قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ»[1].

فكان منهجه ﷺ مع هؤلاء المنافقين هو صرف النّظر عنهم، حتّى لا يكونوا عقبة أمام قبول الدّعوة الإسلامية في المجتمع.

فإذا تبيّن منهج نبيّنا ﷺ في أخلاقه وأصول ذلك المنهج إلى جانب مسالكه في إقامة المجتمع الإسلامي، ثمّ منهجه في التعامل مع هذا المجتمع بقي أمر آخر لا يقل أهمية عمّا تقدّم، وهو أنّ النبيّ ﷺ بشر يموت كما يموت سائر البشر، فما هو المنهج الأخلاقي الذي رسمه النبي ﷺ لأمّته حتّى يثبتوا على ما تركهم عليه؟ وهذا ما نتناوله في المبحث التالي.

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ﴾ برقم: (٤٩٠٥)، (٨/ ٧٦٢)، ومسلم: باب نَصْرِ الأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا برقم: (٦٧٤٨).

منهجه ﷺ في ضمان ثبات أمّته على تعاليمه

إنّ أهمّ جزء من منهج النبي ﷺ في أخلاقه يتمثّل في إقامة مجتمع مسلم يعبد إلاّ الله ولا يشرك به شيئًا، يدين بالإسلام عبادة وسلوكًا ونظامًا ومنهج حياة، ثمّ يحمل هذا النّور إلى العالم، فرسم لهم منهجًا قويمًا به يثبتون على تعاليمه، وبيان ذلك:

١ – أنّه ﷺ بيّن لهم أهمية ما تركهم عليه من منهج في الأخلاق، مع تقرير ما في مخالفة منهجه من الهلاك؛ فقال ﷺ: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك**»[(١)].

٢ – أنّه ﷺ عرّفهم بما في مخالفة منهجه القويم في الأخلاق من الضلال والفساد في الدين والدنيا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، وخط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثمّ قال: «هذا سبيل الله، وهذه السبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (١/ ٩٦)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٢٦)، وابن أبي عاصم في السنّة: من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه برقم (٤٩)، (١/ ٢٧) وصححه الألباني بمجموع طرقه في ظلال الجنة في تخريج السنة – المطبوع مع السنة –: (١/ ٢٧).



صِرَٰطِى ﴾... الآية[1]»[2].

٣ – أنّه ﷺ ربطهم بسنة خلفائه الراشدين، حتّى لا يتأثروا بعواصف التغيير القادم بسبب بعد العهد به ﷺ:

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنّها موعظة مودّع، فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسّمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، عضّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنّ كلّ بدعة ضلالة**»[3].

وقد خصّ ﷺ الشيخين أبا بكر وعمر بالاقتداء، وهو أخصّ من الاتباع العام الذي للخلفاء الراشدين:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**اقتدوا بالذين من**

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السّنة: من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه برقم (١٦)، (١/ ١٣)، وصححه الألباني: في ظلال الجنة في تخريج السنّة المطبوع مع السنة (١/ ١٣).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب السنّة، باب في لزوم السّنّة، حديث رقم: (٤٦٠٧) ص: (٦٩٩). والترمذي: حديث رقم: (٢٦٧٦). وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه: ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني وقال «سنده صحيح ورجاله ثقات» (١/ ١٨).

بعدي أبي بكر، وعمر»[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمر باتباع سنّة الخلفاء الرّاشدين، وهذا يتناول الأئمة الأربعة، وخصّ أبا بكر وعمر بالاقتداء بهما، ومرتبة المقتدى به في أفعاله وفيما سنّه للمسلمين فوق مرتبة المتبع فيما سنّه فقط، وفي صحيح مسلم أنّ أصحاب النّبي ﷺ كانوا معه في سفر، فقال: «**إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا**»[2]»[3].

وبهذا فقد ضمّن النبيّ ﷺ ثبات أمّته على ما جاء به من منهج أخلاقي رفيع شمل جميع حاجات الإنسان، ووفى بمطالب روحه وجسده وعقله، فأصَّل التوحيد، وقام بالدعوة، ورسم لهم ما به يلتزمون منهجه، ولا يخرجون عن هديه ﷺ.

وبهذا نكون قد توصلنا إلى نهاية هذه الكلمة الموجزة في بيان منهجه ﷺ في أخلاقه، والله تعالى أعلم.

---

(1) رواه الترمذي: (٦/ ٤٣) رقم (٣٦٦٢)، وقال هذا حديث حسن، وابن ماجه: (١/ ٢٣) رقم (٩٧)، وأحمد: (٥/ ٣٨٥-٤٠٢)، وابن أبي عاصم في السنّة: (٥٣١) رقم: (١١٤٨)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٣/ ٢٣٤)، رقم: (١٢٣٣)، وصحيح سنن الترمذي: رقم: (٢٨٩٥).

(2) رواه أحمد في المسند:(٣٧/ ٢٣٥-٢٣٧)، برقم: (٢٢٥٤٦) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الصحيحين غير حماد بن سلمة، وعبد الله بن رباح فهما من رجال مسلم، ورواه أبو نعيم في الحلية: (٨/ ١٢٢).

(3) مجموع الفتاوى: (٤/ ٤٠٠).



أهمّ نتائج البحث

١ – أهمية الدراسات العلمية المنهجية في ضبط المسائل والأبواب، بتحصيل المقاصد وتحقيقها، وتقريب الفوائد وتجليتها، فإنّ تناول أخلاق النّبي ﷺ بالبحث والدراسة بغير المسلك المنهجي مظنة التشتت؛ لكثرة النصوص الواردة في الباب، وتنوعها، فضلاً عن التطويل الذي قد يؤثّر في تحقيق المقصود، بينما المسلك المنهجي يرسم الخطوات العامّة، ويضبطها، ويقرّب الصورة ويوضّحها مهما كان مختصرًا،سواء في خطبة أم مقال.

٢ – أهمية الفرق بين أصول أخلاقه ﷺ التي هي مدار رسالته وبين أخلاقه التي هي في خدمة تلك الأصول، وعلى رأس تلك الأصول الأخلاقية التوحيد، وتبليغ الرسالة، وتعليم العلم الشرعي، وبناء المجتمع المسلم الذي يحدد هوية أمّته ضمن المنظومة الدولية.

٣ – منهجه في تأصيل الأخلاق يقوم على القدوة الحسنة؛ فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى في الأخلاق لأمته في كلّ شيء، فلا يخالف قولُه فعلَه، ولا يلزم أتباعه بالعزيمة؛ ليأخذ بالرّخص، بل هو أشجع النّاس، وأوفى النّاس، وأعف النّاس، وأجود النّاس، وأصبر النّاس، فهو الأسوة للعالمين في كلّ خلق حميد.

٤ – منهجه في نشر الأخلاق يقوم على الأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن سفسافها، ويراعي ضعف الإنسان، فيمدّه بما يرجع به إلى ربه ويتوب إذا أخطأ، ويخص كلّ طبقة من طبقات المجتمع، فيوجهها إلى ما يعينه على تحقيق تلك الأخلاق الفاضلة.

٥ – يتنازل ﷺ عن بعض حقوقه لتأليف أمّته، وكسب ودهم؛ تقديمًا لحق الله – تعالى– في دعوتهم، فلم ينتقم لنفسه قط، بل كان ينتقم لله تعالى.

٦ – يغضّ الطرف عن بعض المنافقين لا تأليفًا لهم فحسب، لكن ترجيحًا لمصلحة عدم التصدّي لهم مما قد يفهم منه على غير وجهه، فيتحدث النّاس أنّ محمّدًا يقتل أصحابه، ويصير ذلك عقبة أمام نشر الدعوة إلى الله – تعالى – في محيط مجتمعه ﷺ.

٧ – توّج النبيّ ﷺ منهجه بأن ربط أمّته بسنته بعد كتاب الله تعالى، وأمرهم بالاقتداء بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم من سلف هذه الأمّة، فهم أعرف النّاس بهديه، وأحرصهم على الاقتداء به ﷺ، فما أروعه من منهج أخلاقي متكامل في إحاطته لحاجة الإنسان أينما كان، ومهما كان، وكيفما كان، وصدق الله العظيم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ



ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1]. والله تعالى أعلم.

فهذه هي أهمّ النتائج التي توصلنا إليها خلال هذا البحث الموجز، سائلاً المولى القدير التوفيق والسداد؛ إنّه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا وكفى ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلّم على سيّدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة الفتح، الآية (٢٩).

قائمة المراجع

(١) الأخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية، للدكتور عبد الله الحميدي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر –دمشق – سورية.

(٢) البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تأليف الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار المتوفى: ٢٩٢ هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

(٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، تأليف العلامة المحدّث محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض: الطبعة الأولى.

(٤) تغليق التعليق على صحيح البخاري، للعلامة الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق سعيد عبدالرحمن موسى القزقي، طبعة المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان الأردن. الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٥) تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي (٧٠٠-٧٧٤)، تحقيق سامي بن محمّد السّلامة الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



(٦) تفسير المنار،لمحمد محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان، تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السّعدي ١٣٠٧هـ ـ١٣٧٦هـ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م.

(٩) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تأليف أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى ٣١٠هـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.

(١١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى ٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ ـ١٩٦٧م.

(١٢) الدّر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدّين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، طبعة مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

(١٣) السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضّحّاك بن مخلّد الشيباني المتوفى ٢٨٧هـ ومعه ظلال الجنّة في تخريج السّنة لمحمد ناصر الدّين الألباني المكتب الإسلامي، والطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(١٤) سنن البيهقي الكبرى، تأليف أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبعة مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(١٥) سنن الترمذي المعروف بالجامع الصحيح تأليف الإمام المحدّث أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، السلمي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، وبهامشه تحقيق أحمد محمد شاكر.

(١٦) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ، دراسة وتحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

(١٧) صحيح الإمام أبي عبد الله إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة، ومفهرسة، طبعة دار ابن كثير دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(١٨) صحيح سنن أبي داود الإمام الحافظ، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تأليف الإمام المحدّث الشيخ ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة ١٤٢٠هـ، طبعة دار غراس للنشر والتوزيع الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.



(١٩) ظلال الجنّة في تخريج السّنة لمحمد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، يقع ضمن كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضّحّاك بن مخلّد الشيباني المتوفى ٢٨٧هـ ومعه.

(٢٠) فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري برواية أبي ذر الهروي، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالقادر شيبة الحمد، طبعة صاحب السّموّ الملكيّ الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

(٢١) القاموس المحيط للفيروزأبادي، دار الكتب العلمية ١٩٨٨م الطبعة الأولى.

(٢٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، اعتنى به كلّ من د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل، ود. خالد بن علي بن محمد المشيقيح، طبعة دار العاصمة.

(٢٣) كتاب نبي الرحمة، للباحث محمد مسعد ياقوت، الناشر دار الخزاز جدة، من موقع نبي الرحمة على الشبكة العالمية.

(٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمّد بن ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض طبعة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢٥) سنن ابن ماجه: للحافظ أبي الله محمّد بن يزيد القزويني ابن ماجه ٢٠٧-٢٥٧هـ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٢٦) سنن أبي داود: تأليف: الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

(٢٧) سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي توفي ٧٤٨هـ ١٣٧٤م، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م، الثانية: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٢٨) صحيح الترغيب والترهيب، للعلامّة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف – الرياض.

(٢٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى من علماء القرن الثالث، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة تحقيق: محمد فواد سزگين.

(٣٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة. عام ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(٣١) مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، للإمام شمس الدّين أبي عبدالله محمّد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، دار إحياء الترث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٣٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا ٣٩٥هـ، تحقيق عبدالسّلام هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٣٣) المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين للطباعة والنّشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٣٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤- ٢٤١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥هـ.

(٣٥) الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس،دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

(٣٦) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن غويضة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٣٧) هذا هو رسول الله ﷺ، جمع وإعداد أسامة الحمصي، (موقع نبي الرحمة على الشبكة العالمية).

***

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



هاتف : ٢٥٨٢٧٤٩ - ١ - ٠٠٩٦٦

فاكس: ٢٥٨٢٧٤٣ - ١ - ٠٠٩٦٦

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٤٦٨١١ الرياض ١١٥٤٢

www.sunnah.org.sa

sunnah@sunnah.org.sa